إيقاظ الهمّة

لطلب علم الكتاب والسُنة

جمع وترتيب

عادل بن عبدالله السعيدان

مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
الطالبية - الجيزة - ت : ٨٦٨٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
خلف ٦٠ ش راتب ــ حدائق شبرا
القاهرة . ت : ٦٤٧٥٢٦

إيقاظ الهمة

لطلب علم الكتاب والسنة

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

عنوان المؤلف
الدمام - ص.ب ٦٩٤٢
الرمز البريدي ٣١٤٥٢

الموزع
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
١٤ ش سويلم من ش الهرم خلف مسجد الأنصار
الطالبية - الجيزة - ت : ٨٦٨٦٠٥

المقـــدمـــة

إن الحمـد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمـالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمـا بعد:

لا يخفى على أحد ما تعيشه الأمة في هذه الفترة من صحوة إسلامية بعد طول نوم عشعش خلاله ظلام الجهل والبدع، حتى عم أكثر الناس، ولما كان لا يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة مصدر التشريع للأمة الإسلامية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطلب العلم والجد في تحصيله.

ولما رأيت أن الهمم قد نامت وتقاعست عن طلب العلم، أحببت أن أوقظ تلك الهمم من سباتها، وأقدم لها ما يدفعها لتحصيل العلم الشرعي.

فقرأت ما كتبه علماؤنا رحمهم الله عن العلم وفضله والحث على تحصيله فوجدت مادة غزيرة، أقتطفت منها بعض الثمار اليانعة من جميل قولهم، وربطت بينها بعبارات قصيرة فأخرجتها في قالب واحد كحبات لؤلؤ قد شكت في خيط من ذهب.

واتخذت هذه الطريقة في الكتابة لما لأولئك العلماء من المنزلة والتأثير في الآخرين فهم أحسن كلاماً وأفصح بياناً وأقل تكلفاً، وأصدق لهجة، وأصح نية، وأجمل عبارة، وأوجز لفظاً، فإذا علم القارىء أن هذا قولهم، وتلك أفعالهم تيقظ من سباته فجد في التحصيل. ولذلك سميته «إيقاظ الهمة لطلب علم الكتاب والسنة».

أسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: أبو عبد الله عادل بن عبد الله السعيدان

الـدمـام - ١٤٠٩/٩/١٥هـ

فضل العلم والعلماء

(الحمد لله الذي شيد منار الدين وأعلامه وأوضح للخلق شرائعه وأحكامه وختم الدعوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وفضله على من سبق وغبر من الأولين والآخرين وجعل شريعته مؤيدة إلى يوم الدين ووكل بحفظها من الصحابة والتابعين من تقوم به الحجة وترتفع بقوله الشبهة، وهم الفقهاء الذين ألزمهم حراسة شريعته والتفقه في دينه فقال سبحانه : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[1] وقال سبحانه :﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2] فجعلهم فرقتين أوجب على أحداهما الجهاد في سبيله وعلى الأخرى التفقه في دينه، لئلا ينقطع جميعهم إلى الجهاد فتندرس الشريعة ولا يتوفروا على طلب العلم فتغلب الكفار على الملة، فحرس بيضة الإسلام بالمجاهدين، وحفظ شريعة الإيمان بالمتعلمين)[3] وأمر بالرجوع «إليهم ومساءلتهم في أمور الدين ورفع ذكرهم وأعلى منزلتهم وقرن شهادته بشهادتهم وماذاك إلا لفضلهم وعلو قدرهم. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

(استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال :﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[4] وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه :

---

(١) آل عمران ٧٩

(٢) التوبه ١٢٢

(٣) من مقدمة الفقيه والمتفقه بتصرف.

(٤) آل عمران ١٨

أحدها : استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني : اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث : أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لايستشهد من خلقه إلا العدول ..)[1].

فـ (أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ [2]

وفي قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [3]

وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العلية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان اللذين بها السعادة والرفعة)[4].

فما هو العلم ؟ وما تعريفه ؟ وما العلم الذى أثنى الله تبارك وتعالى على أهله وأثنى عليه رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ وما الطريق إليه كي نطلبه فنكون من الذين يرفعهم الله به درجات ؟

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

(العلم : نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس .. فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح .. وما كان منها مطابقاً للحقيقة في الخارج فهو نوعان :

نوع تكمل النفس بإدراكه والعلم به، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكتبه وأمره ونهيه.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٤٨/١.

(٢)

(٣)

(٤) الفوائد لابن القيم ص ١٩١.

ونوع لا يحصل للنفس به كمال، وهو كل علم لايضر الجهل به فإنه لاينفع العلم به، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من علم لاينفع.

وهذا حال أكثر العلوم الصحيحة المطابقة التي لايضر الجهل بها شيئاً ... كالعلم بالفلك، ودقائقه، ودرجاته، وعدد الكواكب ومقاديرها، والعلم بعدد الجبال وألوانها ومساحاتها ونحو ذلك.

فشرف العلم بحسب شرف معلومه وشدة الحاجة إليه. وليس ذلك إلا العلم بالله وتوابع ذلك ...)[1].

وقال في نونيته رحمه الله تعالى :

والعلم أقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التى ... جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا لما بعثه الله به من الهدى والعلم فقال : «إن مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا، ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به، فعَلِم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» رواه مسلم.

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٦٠.

(فالعلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور والحياة، فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء و يبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفات الكمال، الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال ...) [1]

ولهذا جعل سبحانه وحيه الذي يلقيه إلى الأنبياء روحاً كما قال تعالى :

﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[2] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[3] لأن حياة الأرواح والقلوب به.

(والإنسان إنما يتميز على غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه وأقوى بطشاً، وأكثر جماعاً وأولاداً، وأطول أعماراً، وإنما ميز على الدواب والحيوانات بعلمه و بيانه، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه و بين سائر الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شر منهم ...

... والمقصود أن الإنسان إذا لم يكن له علم بما يصلحه في معاشه ومعاده كان الحيوان البهيم خيراً منه لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل) . [4]

وصدق من قال :

فليجتهد رجل في العلم يطلبه ... كيلا يكون شبيه الشاء والبقر

ولا يظهر فضل العلم لمن لاعقل له، كما لا تبين الشمس لمن ليس له بصر، ومن عرف العلم وفضله، لم يقض نهمته منه، ولم يشبع من جمعه طول عمره.

وقد جاء عن الشارع الحكيم في نصوص كثيرة الترغيب في العلم والحث عليه، من ذلك قوله تعالى :

---

(١) مفتاح دار السعادة ٥٤/١.

(٢) غافر ١٥

(٣) الشورى ٥٢

(٤) مفتاح دار السعادة ٧٨/١ - ٧٩.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٣)

وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ (٤)

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٥)

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين».

وقوله :

«من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة».

وقوله :

«نضر الله امرءاً سمع حديثاً فبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ...».

والنصوص في ذلك كثيرة ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب فضل العلم للشيخ محمد سعيد رسلان.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع و يعيننا على العمل به إنه سميع مجيب.

---

(١) الزمر ٩

(٢) المجادله ١١

(٣) البقره ٢٦٩

(٤) الرحمن ١، ٢، ٣، ٤

(٥) فاطر ٢٨

شرف العلم وفوائده

العلم هو النور في الظلم والأنيس في الوحدة والوز ير عند الحادثة فإن اشتغل القلب به دله على المعبود الحق سبحانه وتعالى فإن القلب له مواطن يجول فيها كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

(للقلب ستة مواطن يجول فيها لاسابع لها، ثلاثة سافلة وثلاثة عالية.

فالسافلة : دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدو يوسوس له، فهذه مواطن الأرواح السافلة التى لاتزال تجول فيها.

والثلاثة العالية :

علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده. والقلوب جوالة في هذه المواطن)[1].

فثمرة العلم هي تقوى الله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

فليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم خشية الله تعالى.

ورأس العلم تقوى الله حقاً ... وليس بأن يقال لقد رئستا

يقول إبن رجب رحمه الله تعالى : (العلم النافع يدل على أمرين :

أحدهما : على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني : المعرفة بما يحبه و يرضاه، وما يكرهه و يسخطه من الأعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

---

(١) الفوائد ص ١٨٤.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه و يسخطه . فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهوعلم نافع فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب، فقد خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة الزهد في الدنيا....) [1]

و (لولم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر اليقين الذي هو أعظم حياة القلب و به طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة لهذا مدح الله سبحانه أهله في كتابه وأثنى عليهم بقوله : ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [2]

وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [3]

وذم من لايقين عنده فقال ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [4] ومما يدل على شرف العلم وفضله :

(أن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المعلم، وهذا أيضا من شرف العلم أنه لايباح إلا صيد الكلب العالم وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله قال الله تعالى :

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [5]

---

(١) فضل علم السلف ص ٦٤

(٢) البقره ٤

(٣) النمل ٨٢

(٤) الانعام ٧٥

(٥) المائده ٥

ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما كان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء...)[1].

(والنبي صلى الله عليه وسلم قدم بالفضائل العلمية في أعلى الولايات الدينية وأشرفها وقدم بالعلم بالأفضل على غيره. فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم إسلاماً أو سناً. وذكر الحديث، فقدم في الإمامة تفضيله العلم علي تقدم الإسلام والهجرة ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة وفيه ز يادة العمل ما هو متميز به لكن إنما راعى التقدم بالعلم ثم بالعمل وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره، وهذا يدل على شرف العلم وفضله وإن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية) [2].

ومن شرف العلم أنه يرفع صاحبه، فقد جاء في ترجمة أبي العالية من تذكرة الحفاظ (٦٢/١) (عن أبي خلدة عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يرفعني على سر يره وقر يش أسفل منه و يقول: هكذا العلم يز يد الشر يف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة).

وصدق رضي الله عنه، كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين». فإن الفقه في دين الله والعمل به هو الفاصل بين طبقات الناس كما قال صلى الله عليه وسلم: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ...» الحديث.

ولهذا تجد (أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عز عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلا) [3].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٥٥/١

(٢) مفتاح دار السعادة ٧٣/١ - ٧٤

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٥٩/١

(فإذا كنت يا أخي ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعواناً بغير أجر، وجنداً بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه، تأتيك المنافع عفواً، وتلق ما يعتمد منها صفواً، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك واستبق لنفسك الذكر بعد وفاتك)[1].

(١) الحث على طلب العلم ص ٤٣.

الإخلاص في طلب العلم

إخلاص النية لله تعالى هو المقصود الأول في كل عبادة، وطلب العلم من أشرف العبادات والعمل به هو ثمرته، فلو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

فـ (حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانة وعظيم فضله... ولايقصد به الأعراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ونحو ذلك فيستبدل به الأدنى بالذي هو خير) [١].

فمن عمر ظاهره بالسنة و باطنه بالأخلاص تفجر في صدره ينابيع العلم ولم يكد ينطق إلا بالحكمة، وأما إذا كان عمله بلا إخلاص كان كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه.

يقول الشوكاني رحمه الله تعالى في كتابه أدب الطلب (ص ٩١): (إن لحسن النية وإخلاص العمل تأثيراً في هذا المعنى فمن تعكست عليه بعض أموره من طلبة العلم، أو أكلف عليه مطالبه وتضايقت مقاصده، فليعلم أنه بذنبه أصيب، و بعدم إخلاصه عوقب أو أنه أصيب بشيء من ذلك محنة له وابتلاء واختباراً لينظر كيف صبره واحتماله، ثم يفيض عليه بعد ذلك من خزائن الخير ومخازين العطايا في ما لم يكن بحسبان ولا يبلغ إليه تصوره، فليعض على العلم بناجذه، و يشد عليه يده، و يشرح به صدره فإنة لامحالة واصل إلى المنزل).

ولاينقطع عن طلب العلم (لعدم خلوص نيته فإن حسن النية مرجوله ببركة العلم. قال بعض السلف طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله.

تذكره السامع ص ٦٨ .

قيل معناه : فكان عاقبته أن صار لله، ولأن إخلاص النية لو شرط في تعليم المبتدئين فيه مع عسره على كثير منهم لأدى ذلك إلى تفويت العلم على كثير من الناس....)[1].

(قيل لأحمد بن حنبل : إن قوماً يكتبون الحديث ولا يرى أثره عليهم وليس لهم وقار ؟. قال أبو عبد الله : يؤولون في الحديث إلى خير)[2].

(وقال حبيب بن أبي ثابت : طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية ثم جاءت النية والعمل بعد)[3].

ولكن لا يستسلم بل يحاول معالجة نيته وإن كانت المعالجة شديدة في أول الأمر، يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى : (ما عالجت شيئاً أشد على من نيتي)[4].

فمن أخلص في طلب العلم نيته وجدد للصبر عليه عزمته كان جديراً أن ينال منه بغيته.

---

(١) تذكرة السامع ص ٤٧

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٦١

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٣٣٩ ، ٢/٢٦٧

(٤) المصدر السابق ١/٣١٧

الطريق إلى الإخـلاص

ما الطريق إلى الإخلاص ؟

هذا السؤال يجيب عنه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه القيم الفوائد ص ٢٦٧ فيقول :

(لايجتمع الإخلاص في القلب ومحبةُ المدح والثناء والطمعُ فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوتُ، فإذا حدّثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين البأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيها زهد عُشّاق الدينا في الأخرة، فإذا استقام لك ذُبحُ الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت : وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح.

قلت : أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا و بيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتي العبد منها شيئاً سواه.

وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه و يز ين، و يضر ذمُه و يشين إلا الله وحده، كما قال ذلك الأعرابى للنبي صلى الله عليه وسلم : إن مدحي ز ين وذمّى شَيْن، فقال : «ذاك اللهُ عَزَّ وَجَلْ».

فازهد في مدح من لايز ينك مدحُه، وفى ذمّ من لا يشينك ذمّه وارغب في مدح مَنْ كلُ الز ين في مدحه، وكل الشين في ذمّه، ولن يُقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب.

قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2]

---

(١) الروم ٦٠

(٢) السجده ٢٤

الحرص على العلم ومجالس العلماء

(العلم صناعة القلب وشغله فما لم تتفرغ لصناعته وشغله لم تنلها وله وجهة واحدة فإذا وجهت إلى اللذات والشهوات انصرفت عن العلم ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبداً فإذا صارت شهوته في العلم ولذته في كل إدراكه رجي له أن يكون من جملة أهله) (١) ولذلك كان علماؤنا رحمهم الله تعالى يحرصون على العلم وجمعه حرصاً ليس له نظير.

(قال ابن أبى حاتم : سمعت المزني يقول : قيل للشافعي كيف شهوتك للعلم ؟ قال أسمع بالحرف - أى بالكلمة - مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به ما تنعمت به الأذنان.

فقيل له : كيف حرصك عليه ؟ قال حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، فقيل له : فكيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره) (٢) .

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يأتي أبواب الصحابة في عز الظهيرة يسألهم عن الحديث. فروى الخطيب البغدادى(٣) وابن عبدالبر(٤) عن ابن عباس أنه قال : (... إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث ...).

---

(١) ابن القيم مفتاح دار السعادة ١٤٢/١.
(٢) توالي التأسيس ص ١٠٦.
(٣) الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٥٨/١.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٨٥/١.

(وهـذا ابن معين رحمه الله تعالى خلف له أبوه ألف ألف درهم، فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه) [1] .

وكـان حريصا على لقاء الشيوخ والسماع منهم خشية أن يفوتوه. قال عبد بن حميد (سألني يحيى ابن معين عن هذا الحديث أول ما جلس إلي، فقلت : حدثنا حماد بن سلمة فقال لو كان من كتابك فقمت لأخرج كتابي، فقبض على ثوبي ثم قال : أمله علي، فإني أخاف أن لا ألقاك، فأمليته عليه، ثم أخرجت كتابي فقرأته عليه) [2] .

وهـذا مكحول يقول : (عتقت بمصر فلم أدع بها علماً إلا حويته فيا أرى ثم أتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بها علماً الا حويت عليه فيا أرى ثم أتيت الشام فغربلتها ...) [3] .

بل إن أحدهم ليحزن و يصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم فقد ذكروا لشعبة حديثاً لم يسمعه، فجعل يقول واحزناه) [4] . وكان يقول : (إني لأ ذكر الحديث فيفوتني، فأمرض) [5] .

ولذلك لما قيل للشعبى : (من أين لك هذا العلم كله ؟ قال بنفي الاعتماد والسير في البلاد وصبر كصبر الحمار و بكور كبكور الغراب) [6] .

---

(١) بواسطة قيمة الزمن عند العلماء ص ٢٤.
(٢) المصدر السابق ٢٣ - ٢٤.
(٣) تذكرة الحفاظ ١٠٨/١.
(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١١٦.
(٥) المصدر السابق ص ١١٥.
(٦) تذكرة الحفاظ ص ٨١.

وكـان مـن حـرصـهـم عـلـى العلم ومجالسه أنك تجدهم يعدون فى الطرقات كأنهم مجـانين، ولـذلـك يـقول شعبة رحمه الله تعالى (ما رأيت أحداً قط يعدو إلا قلت مجنون أو صاحب حديث) (١) .

وكـانوا يزدحمون على مجالس العلم حتى قال جعفر بن درستو يه (كنا نأخذ المجلس فـي مجـلس علي بن المدينى وقت العصر اليوم لمجلس غد، فنقعد طول الليل، مخافة أن لا نـلحـق مـن الغد موضعاً نسمع فيه، ورأيت شيخاً في المجلس يبول في طيلسانه و يدرج الطيلسان، حتى فرغ مخافة أن يؤخذ مكانه إن قام للبول) (٢) .

ومـن طر يف ما وقع لهم أن شعبة بن الحجاج جاء إلى خالد الحذاء فقال : (يا أبا مـنـازل : عندك حديث حدثني به ؟ وكان خالد عليلا، فقال له : أنا وجع فقال : إنما هو واحد ؟ فحدثه به، فلما فرغ قال : مت إذا شئت) (٣) .

بـل أكثر مـن ذلـك، فـقـد قـال يحيى بن حسان : (كنا عند سفيان بن عيينة وهو يحدث فازدحمت فرقة من الناس على محل شيخ ضعيف فانتهبوه ودقوا يد الشيخ، فجعل الـشـيـخ يـصيح : سفيان لا جعلتك مما عملوا بى في حل، وسفيان لا يسمع، حتى نظر إلـى رجـل مـن أولـئـك الذين صنعوا بالشيخ ماصنعوا فقال له : ما يقول الشيخ ؟ قال يقول : زدنا في السماع) (٤) .

وهـشيم رحمه الله تعالى كان سبب موته ازدحام طلبة العلم عليه فقد قال الخطابى : (ازدحم أصحاب الحديث على هشيم فطرحوه عن حماره فكان سبب موته) (٥) .

فـبـمـثـل هـذا الشغف والعشق للعلم ظهر النبوغ والإمامة فيهم. ولولا أن الله جعل الحرص في قلوبهم لدرس هذا الشأن.

---

(١) الخطيب «الجامع» ١/١٥٢.
(٢) المصدر السابق ٢/١٩٩.
(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١١٦.
(٤)، (٥) العزلة ص ١٠١.

فاحرص ياطالب العلم على التشبه بهم والصبر كما صبروا فإن لم تصبر على تعب التعلم صبرت على شقاء الجهل ومن عرف العلم وفضله لم يقض نهمته منه ولم يشبع من جمعه طول عمره، ولكن تجاوز الإعتدال في طلب العلم ربما أدى إلى تضييعه فارفق بنفسك ولا تحملها أكثر من طاقتها جعلني الله وإياك من طلبة العلم وأهله.

الجد في طلب العلم والتحمل في سبيله

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

(تأملت عجباً وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه و يكثر التعب فى تحصيله.

فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء : بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس ...) (١) .

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وأما سعادته فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية.

وقد أحسن القائل فى ذلك :

فقل لمرجي معالي الأمور   بغير اجتهاد رجوت المحالا

وقال الآخر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال

ومن طمحت همته إلى الأمور العالية فواجب عليه أن يشد على محبة الطرق الدينية، وهي السعادة وإن كانت في ابتدائها لا تنفك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي وأنها متى أكرهت النفس عليها وسيقت طائعة وكارهة إليها وصبرت على لأوائها وشدتها أفضت منها إلى رياض مونقة ومقاعد صدق ومقام كريم تجد كل لذة دونها لعب الصبي بالعصفور بالنسبة إلى لذات الملوك فحينئذ حال صاحبها كما قيل :

وكنت أرى قد تناهى بي الهوى   إلى غاية ما بعدها لي مذهب

فلما تلاقينا وعاينت حسنها   تيقنت أني إنما كنت ألعب

---

(١) صيد الخاطر ص ٢٦٨.

فالمكارم منوطة بالمكاره والسعادة لايعبر إليها إلا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والإجتهاد.

قال مسلم في صحيحه : قال يحيى بن أبي كثير : لاينال العلم براحة الجسم وقد قيل من طلب الراحة ترك الراحة.

فيا واصل الحبيب أما إليه بغير مشقة أبداً طريق

ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف ولكن حفت بحجاب من المكاره وحجبوا عنها بحجاب من الجهل ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم) [1].

يقول الشافعي رحمه الله تعالى :

(حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبر على كل عارض دون طلبه وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه).

لاتحسب المجد تمراً أنت اكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقد كان أهل العلم رحمهم الله تعالى يلاقون المصاعب والشدائد في تحصيلهم للعلم. فهذا أبو حاتم رحمه الله تعالى يقول :

(لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس. أبو زهير المروزى شيخ، وآخر نيسابورى فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا وفنى ما كان معنا من الزاد وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أياماً على البر حتى فنى ما كان معنا من الزاد والماء فشينا يوماً وليلة لم يأكل أحد منا شيئاً ولا شربنا واليوم الثاني كمثل واليوم الثالث كل يوم نمشي إلى الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٠٨، ١٠٩.

على قدر طاقتنا فسقط الشيخ مغشياً عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين فضعفت وسقطت مغشياً علي ومضى صاحبي وتركني فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قوماً قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى صلى الله عليه وسلم فلما عاينهم لوح بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم رفيقين لى قد ألقوا بأنفسهم مغشياً عليهم فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني فقلت أسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئاً يسيراً وأخذ بيدى فقلت ورائي شيخ ملقى، قال قد ذهب إلى ذاك جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي و يسقيني شيئا بعد شيء حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ واحسنوا إلينا أهل السفينة فبقينا أياماً حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يقال لها راية إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والسويق والكعك فجعلنا نمشي جياعاً عطاشاً على شط البحر حتى وقعنا إلى سلحفاة قد رمي به البحر مثل الترس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهره وإذا فيها مثل صفرة البيض فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش، ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية وأوصلنا الكتاب إلى عاملهم فأنزلنا في داره وأحسن إلينا وكان يقدم إلينا كل يوم القرع و يقول لخادمه هات لهم باليقطين المبارك فيقدم إلينا ذاك اليقطين مع الخبز أياماً فقال واحد منا بالفارسية : لا تدعو باللحم المشؤوم ؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار، فقال : أنا أحسن بالفارسية : فإن جدتي كانت هروية فأتانا بعد ذلك باللحم، ثم خرجنا من هناك وزودونا إلى أن بلغنا مصر) (١) .

وهذا ابن الجوزي يقول :

(لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو.

---

(١) الجرح والتعديل ١/٣٦٤ - ٣٦٦

كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء.

فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم ...) [1].

هذا والله الحرص والاجتهاد، فلا جرم أن صاروا أعيان الدنيا المشار إليهم بالعلم والفضل والبراعة والجاه العريض الباقي على أعقاب الليالي والأيام، ومن طلب وجد إلا ماقل وشذ. والأمثلة على ذلك كثيرة ولولا خشية الإطالة لأكثرت من ذلك ولكن إنما يقطع السفر و يصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله، فمتى يصل إلى مقصده ؟

الجد بالجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

فعليك يا طالب العلم ان تجد في التحصيل فإنه كما قال ابن الجنيد (ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه) [2].

ولا تلتفت إلى وساوس الشيطان في تهويل كثرة العلم عليك فتفتر عن الطلب وتدع العلم، فقد قال الفضل بن سعيد بن سلم : «كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه، فعزم على تركه، فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر الماء فيها فقال : الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها والله لأطلب العلم فطلب فأدرك».

فالعلم يجتمع مع الليالي والأيام وقد قيل :

اليوم شيء وغداً مثله من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمه وإنما السيل اجتماع النقط

---

(١) صيد الخاطر ص ٢٣٥.

(٢) الجامع ٢/١٧٩.

وعليك الرفق بنفسك فالحاجة إن لم تدرك بالرفق والدوام فبأي شيء تدرك ؟ ومفتاح كل شيء جليل بذل المجهود.

قال أبو يعلى الموصلي [1] :

(اصبر على مضض الإدلاج بالسـ ـحر و بالرواح على الحاجات والبكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والضجر
إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر)

(١) الجامع ٣/١٨٠.

الإتبـــاع

(أشرف العلوم وانفعها علم الحدود ولاسيما حدود المشروع المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود، حتى لايدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها، قال تعالى

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [1]

فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفة وفعلاً) [2] .

ولا يمكن معرفة ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة الموصلان إلى الله تعالى فـ(أقرب الوسائل إلى الله ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الإفتقار إلى الله، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة، وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أوعن أحدها) [3] .

فـ(أعلى الهمم في طلب العلم، طلب علم الكتاب والسنة، والفهم عن الله ورسوله نفس المراد، وعلم حدود المنزل.

وأخس همم طلاب العلم، قصر همته على تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل، ولا هو واقع أو كانت همته معرفة الاختلاف، وتتبع أقوال الناس وليس له همة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه) [4] .

فمن أراد العلم فعليه أن يكون (أصله الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة ومن بعدهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين يأمر بالا تباع و ينهى عن الإبتداع،

---

(١) التوبه ٩٧

(٢) الفوائد ص ٢٥٤

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٠

(٤) المصدر السابق ص ١١١

لايجادل العلماء ولا يمارى السفهاء همه في تلاوة كلام الله الفهم وفي سنين الرسول صلى الله عليه وسلم الفقه لئلا يضيع ما لله عليه ...) [١] . فإنه سيناديهم يوم القيامة ماذا أجبتم المرسلين.

قال قتادة : كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين ؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة.

ولذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

(إنما ينبغي اتباع الصواب ولا ينظر إلى أسماء المعظمين أن يتبع الدليل.

قال المروزي : مدح أحمد بن حنبل النكاح فقلت له : قد قال ابراهيم ابن أدهم. فصاح وقال : وقعنا في بنيات الطريق، عليك بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسم وأصحابه) [٢] .

فقد رده الإمام أحمد إلى اتباع الدليل ولزوم هديه صلى الله عليه وسلم فلا تكفي العبادة بلا دليل عليها فقد قال صلى الله عليه وسلم : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (العامل بلا علم كالسائر بلا دليل. ومعلوم أن عطب مثل هذا أقرب من سلامته، وإن قدر سلامته اتفاقاً نادراً فهو غير محمود بل مذموم عندالعقلاء، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول. قال الحسن : العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلباً، لا تضروا به العبادة، واطلبوا العبادة طلباً، لا تضروا به العلم،فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا) [٣] .

---

(١) اخلاق العلماء ص ٤٨

(٢) صيد الخاطر ص ٤٧١

(٣) مفتاح دار السعادة ٨٣/١

ومن هنا قال ابن رجب رحمه الله تعالى : إن (العلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيا ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك.

والاجتهاد في تمييز صحيحه من سقيمه أولاً ثم الاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً. وفي ذلك كفاية لمن عقل وشغل لمن بالعلم النافع عنى واشتغل) (١) .

(فضبط ما روي عنهم فى ذلك أفضل العلوم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لا خير فى كثير منه إلا أن يكون شرحاً لكلام يتعلق بكلامهم.

وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أولا منفعة فيه. وفى كلامهم فى ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة ...

فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعانى الحديث والكلام فى الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهى إلى أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم...) (٢) .

فقد كانوا رحمهم الله تعالى يحرصون على ملازمة السنة واتباع الآثار حتى قال سفيان الثورى (إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل) (٣) .

قال زيد بن أخزم سمعت عبدالله بن داود يقول : (ينبغي للرجل أن يكره ولده على سماع الحديث، وكان يقول : ليس الدين بالكلام إنما الدين بالآثار) (٤) .

---

(١) فضل علم السلف ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٨.

(٣) الجامع ١/١٤٢.

(٤) شرف اصحاب الحديث ص ٦٦.

بل قال الأعمش رحمه الله تعالى (من لم يطلب الحديث أشتهي أن أصفعه بنعلي) [1]

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى الآثار
لا ترغب عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار

و (لما أعرض كثير من العلماء عن المنقولات ابتدعوا في الأصول والفروع فالأصوليون تشاغلوا بالكلام وأخذوه من الفلاسفة، وعلماء المنطق، ودخلت أيدى الفروعيين في ذلك فتشاغلوا بالجدل وتركوا الحديث الذي يدور عليه الحكم ...) [2]

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : (ومن ذلك - أعني محدثات العلوم - ما أحدثه فقهاء الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها وسواء أخالفت السنة أم وافقتها طرداً لتلك القواعد المقدرة وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة، لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها. وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق و بالغوا في ذمه وإنكاره) [3].

(فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث حيث كان إذا كان معمولاً به عند الصحابة ومن بعدهم أو عند طائفة منهم.

فأما ما اتفقوا على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به.

قال عمر بن عبدالعزيز : خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم. فأما ما خالف عمل أهل المدينة من الحديث فهذا مالك يرى الأخذ بعمل أهل المدينة والأكثرون أخذوا بالحديث أهـ.

فنسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً و يرزقنا اتباعه و يرينا الباطل باطلاً و يرزقنا اجتنابه إنه على ذلك قدير و بالإجابة جدير.

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٥.
(٢) صيد الخاطر.
(٣) فضل علم السلف ص ٤٧.

تقديم الأولى فالأولى من العلوم

ينبغي لطالب العلم أن يلتمس من العلوم أنفعها فإن العلم كالبحار المتعذر كيلها والمعادن التي لا ينقطع نيلها، والعمر قصير لايستوعب ذلك كله فاشتغشل بالمهم منه فإنه من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم وقد قيل :

ما أكثر العلم وما أوسعه   من ذا الذي يقدر أن يجمعه
إن كنت لابد له طالبا   محاولاً فالتمس أنفعه

قال ابن عباس : (العلم كثير ولن تعيه قلوبكم، ولكن اتبعوا أحسنه ألم تسمع قوله تعالى : «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ...») [1] .

قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى :

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه   حمل، فأبصر أي شيء تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل   فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

(... أما العالم فلا أقول له اشبع من العلم، ولا اقتصر على بعضه، بل أقول له : قدم المهم فإن العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه، وإن كان لا سبيل إلى العلم بمقدار العمر، غير أنه يبني على الأغلب.

فإن وصل فقد أعد لكل مرحلة زاداً، وإن مات قبل الوصول فنيته تسلك به.

فإذا علم العاقل أن العمر قصير، وأن العلم كثير فقبيح بالعاقل الطالب لكمال الفضائل أن يتشاغل مثلا بسماع الحديث ونسخه ليحصل كل طريق، وكل رواية، وكل غريب.

---

(١) تقييد العلم ص ١٤١.

وهذا لا يفرغ من مقصوده منه فى خمسين سنة خصوصاً إن تشاغل بالنسخ. ثم لايحفظ القرآن، أو يتشاغل بعلوم القرآن ولا يعرف الحديث.

أو بخلاف في الفقه ولا يعرف النقل الذى عليه مدار المسألة فإن قال قائل : فدبر لى ما تختار لنفسك.

فأقول : ذو الهمة لا يخفى من زمان الصبا .. وقد علم قصر العمر وكثرة العلم، فيبتدأ بالقرآن وحفظه، و ينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه بذلك منه شيء ... وأشياء من النحو وكتب اللغه وابتدأ بأصول الحديث. من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والاسماء فلينظر في أصول ذلك.

وقد رتبت العلماء من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب) [1].

وقال بدر الدين بن جماعة رحمه الله تعالى : (عليه أن يبكر بسماع الحديث ولا يهمل الاشتغال به و بعلومه والنظر في إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده ولغته وتواريخه.

و يعتني أولاً بصحيحي البخاري ومسلم ثم بقية الكتب الأعلام والأصول المعتمدة في هذا الشأن كموطأ مالك ومسند الشافعي ولا ينبغي أن يقتصر على أقل من ذلك.

ونعم المعين للفقيه كتاب السنن الكبير لإبى بكر البيهقي، ومن ذلك المسند كمسند أحمد بن حنبل وابن حميد والبزار.

و يعتني بمعرفة صحيح الحديث وحسنه وضعيفه ومسنده ومرسله وسائر أنواعه فإنه أحد جناحي العلم بالشريعة المبين لكثير من الجناح الآخر وهو القرآن.

ولا يقنع بمجرد السماع كغالب محدثي هذا الزمان بل يعتني بالدراية أشد من اعتنائه بالرواية.

---

(١) صيد الخاطر ١٦٨ - ١٧٠ وانظر ايضا ص ٣١٠.

قال الشافعي رضي الله عنه : «من نظر في الحديث قويت حجته» لأن الدراية هي المقصود بنقل الحديث وتبليغه) [1] .

(فالرئاسة في الحديث بلا دراية رئاسة نذلة كما قال أبوعاصم النبيل) [2] ولذلك قال على ابن المدينى :

(التفقه في معاد الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم) [3] .

فـ (إذا تميز الطالب بفهم الحديث ومعرفته، تعجل بركة ذلك في شبيبته والطريق إليه ما ذكرناه من دوام السماع والإكثار منه والمطالبة له والنظر فيه، والمذاكرة به، وصرف العناية إليه ...) [4] .

وقال ابن الجوزي :

(ولينظر في التواريخ ليعرف مالا يستغني عنه كنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأقاربه وأزواجه وما جرى له.

ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب والخلاف، وليكن اعتماده على مسائل الخلاف فلينظر في المسألة وما تحتوي عليه فيطلبه من مظانه، كتفسير آية وحديث وكلمة لغة.

و يتشاغل بأصول الفقه و بالفرائض وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم.

و يكفيه من النظر في الأصول ما يستدل به على وجود الصانع، فإذا أثبته بالدليل وعرف ما يجوز عليه مما لايجوز، وأثبت إرسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم، فقد احتوى على المقصود من علم الأصول.

فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع ...) [5] .

---

(١) تذكرة السامع ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) الجامع ١٨١/٢.

(٣) الجامع ٢١١/٢.

(٤) المصدر السابق ١٨١/٢.

(٥) صيد الخاطر ١٦٩ - ١٧٠.

من له أن يتكلم في العلم
و
عمن يؤخذ العلم

(ينبغي للطالب أن يقدم النظر و يستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه و يكتسب حسن الأخلاق والآداب منه وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وكان أحسن تعليما وأجود تفهيماً ولا يرغب الطالب في ز يادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جيل. فعن بعض السلف هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وليحذر من التقيد بالمشهور ين) (١) .

فليس كل من تصدى للعلم صار عالماً ولا من تجرأ على الفتوى دخل في زمرة الفقهاء ولا من طالت لحيته زادت معرفته ولا من كبر سنه عظم شأنه فالجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً. فهذا الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول : (لقد أدركت بهذا البلد - يعني المدينة - مشيخة لهم فضل وصلاح وعبادة يحدثون ما سمعت من واحد منهم حديثاً قط . قيل : لم يا أبا عبدالله ؟ قال لم يكونوا يعرفون ما يحدثون) (٢) .

وصدق رحمه الله تعالى فإن العالم حجتك بينك و بين الله تعالى فانظر من تجعل حجتك بين يدي الله عز وجل.

وسئل الإمام أحمد (ما تقول في الرجل يسأل عن الشيء فيجيب بما في الحديث وليس بعالم بالفتيا ؟ قال : ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكو عارفاً

---

(١) تذكرة السامع ص ٨٥.

(٢) الجامع ١/١٤٠.

بـالسنن، عـالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة. وإنما جاء خلاف من خالف لقـلـة معرفتهم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنن وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها.

وعـن ابـن المبارك قال : قيل له : متى يفتي الرجل ؟ قال : إذا كان عالماً بالأثر، بصيراً بالرأي) [1] .

ولـذلـك فـيـنـبـغـي لطالب العلم (أن يتخير المشهور منهم بطلب الحديث المشار إليه بالإتقان له والمعرفة به) [2] .

(وأن يـعـتـمـد فـي كـل فـن من هو أحسن تعليماً له وأكثر تحقيقاً فيه وتحصيلاً منه وأخبـرهم بالكتاب الذي قرأه، وذلك بعد مراعاة الصفات المقدمة من الدين والصلاح والشفقه وغيرها) [3] .

---

(١) الفقيه والمتفقه ٢/١٥٧.
(٢) الخطيب الجامع ١/١٢٦.
(٣) تذكرة السامع ص ١١٤.

كثرة الكلام لايدل على كثرة العلم

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى :

(... قد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم، كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام. ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال ...

فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك. وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم. فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله، لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولاً ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لا تساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً.

فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم، وهذا انتقاص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبة لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولقد صدق ابن مسعود في الصحابة : إنهم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علوماً وأقلها تكلفاً.

وروي نحوه عن ابن عمر أيضا. وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علوماً وأكثر تكلفاً. وقال ابن مسعود أيضا :

إنكم في زمان كثيرعلماؤه قليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه فمن كثر علمه وقوله فهو ممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل اليمن بالإيمان والفقه، وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم و يعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك وهذا هو الفقه والعلم النافع)[1] .

(١) فضل علم السلف على علم الخلف ٥٣ - ٥٨.

سعة الثقافة وجمع الفنون

(قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله إلا ان طلاب العلم افترقوا، فكل تدعوه نفسه إلى شيء.

فنهم من أذهب عمره في القراءات، وذاك تفريط في العلم، لأنه إنما ينبغي أن يعتمد على المشهور منها لا على الشاذ ...

وما أقبح القاريء يسأل عن مسألة في الفقه وهولايدري. وليس ما شغله عن ذلك إلا كثرة الطرق في روايات القراءات.

ومنهم من يتشاغل بالنحو وعلله فحسب، ومنهم من يتشاغل باللغة فحسب، ومنهم من يكتب الحديث و يكثرولا ينظر في ما كتب) [1] .

فينبغي (للفقيه أن يطالع من كل فن طرفاً، من تاريخ وحديث ولغة وغيرذلك، فإن الفقه يحتاج إلى جميع العلوم، فليأخذ من كل شيء منها مهماً) [2] .

(وأقبح بمحدث يسأل عن حادثه فلا يدري، وقد شغله منها جمع طرق الأحاديث.

وقبيح بالفقيه أن يقال له : ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، فلا يدرى صحة الحديث ولا معناه.

فنسأل الله عز وجل همة عالية لا ترضى بالنقائص بمنه ولطفه) [3] .

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٨.

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

ورحم الله ابن الوردي إذ يقول :

من كل فن خذ ولا تجهل به	فالحر مطلع على الأسرار
وإذا علمت الفقه عشت مصدرا	في العالمين معظم المقدار
وعليك بالإعراب فافهم سره	فالسر في التقدير والإضمار

فنسأل الله تعالى علماً نافعاً وأن يعيننا على العمل بما علمنا هو ولي ذلك والقادر عليه.

جمع الكتب وكثرة القراءة

من الأسباب المعينة على تحصيل العلم والتقدم فيه جمع الكتب والنظر فيها، فكثرة المطالعة لاتحول الأحمق عاقلاً والبليد ذكياً ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف.

ولهذا قال ابن المبارك رحمه الله تعالى : (من أحب ان يستفيد فلينظر في كتبه) (١).

فالكتاب (حاضر نفعه، مأمون ضره ينشط بنشاطك، فينبسط إليك، ويمل بملالك فينقبض عنك، إن أدنيته دنا، وإن أنأيته نأى، لايبغيك شرا ولا يفشي عليك سراً ولا ينم عليك، ولا يسعى بنميمة إليك) (٢).

نعم المحدث والرفيق كتاب | تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشياً للسر إن أودعته | و ينال منه حكمةً وصواب

فاجعل الكتاب جليسك في الوحدة، وأنيسك في الخلوة فقد (قيل لرجل من يؤنسك ؟ فضرب على كتبه، وقال : هذه.

فقيل : من الناس ؟ فقال الذين فيها) (٣).

(وقيل لبعضهم : أما تستوحش ؟ فقال : يستوحش من مع الأنس كله ؟ قيل وما الأنس كله ؟ قال : الكتب) (٤).

(وقال بعض الوزراء : ياغلام ائتني بأنس الخلوة ومجمع السلوه، فظن جلساؤه أنه يستدعي شراباً، فأتاه بسفط فيه كتب) (٥).

---

(١) تقييد العلم ص ١٤٠ والجامع ٢٤١/٢.
(٢) المصدر السابق ص ١٢٠.
(٣، ٤) المصدر السابق ص ١٢٥.
(٥) تقييد العلم ص ١٢٠.

ولذلك كان العلماء رحمهم الله تعالى يحرصون على مداومة النظر في الكتب لأنها خزائن تحصيل العلم.

يقول المبرد : (ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان، واسماعيل بن اسحاق القاضي.

أما الجاحظ ، فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أى كتاب كان.

وأما الفتح فكان يحمل الكتاب في خفه، فإذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي، أخرج الكتاب فنظر فيه، وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذى ير يد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه.

وأما اسماعيل بن اسحاق، فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه) [١] .

(وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته حتى في الطر يق وكان ربما سقط في جرف أو خبطته دابة) [٢] .

(وقال أحمد بن عمران : كنت عند أبى أيوب أحمد بن محمد بن شجاع وقد تخلف في منزله فبعث غلاماً من غلمانه إلى أبي عبد الله الأعرابي صاحب الغر يب يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام فقال قد سألته ذلك فقال لي : عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أر بي معهم أتيت قال الغلام وما رأيت عنده أحداً إلا أن بين يديه كتباً ينظر فيها فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب :

يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك ولقد قال لي الغلام إنه ما رأى عندك أحداً وقلت أنت معي قوم من الأعراب فإذا قضيت أر بي معهم أتيت.

---

(١) تقييد العلم ص ١٤٠.

(٢) الحث على العلم ص ٧٧.

فقال ابن الأعرابي :

(لنا جلساء ما نمل حديثهم ... الباء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلت أموات فما أنت كاذبا ... وإن قلت أحياء فلست مفندا) (١)

ومن الطرائف أن الجاحظ كان يكتري الدكاكين من الوراقين و يبيت فيها للنظر في الكتب.

ولذلك قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : (فسبيل طالب الكمال في طلب العلم : الإطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد. وما يخلو كتاب من فائدة ... فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم فالإستكثار من مطالعة كتبهم رؤ ية لهم، كما قيل :

فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

وإني أخبر عن حالي ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعت على كنز.

ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي وكتب شيخنا عبدالوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب وكانت أحمالاً وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه.

ولو قلت : إني طالعت عشر ين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد في الطلب.

فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم مالا يعرفه من لم يطالع.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٠٢.

فصرت استزرى ما الناس فيه، واحتقرهم الطلاب ولله الحمد) [1].

(ومع ما في الكتب من المنافع العميمة والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمن جليس وأسر أنيس، وأسلم نديم، وأفصح عليم) [2].

ولذلك حرص العلماء على جمع الكتب والنظر فيها فهذا ابن حجر رحمه الله يقول عن ابن القيم في كتابه الدرر الكامنة (٢٢/٤) : (وكان مغرى بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم).

(وخلف يحيى بن معين من الكتب مائة قمطر وأربعة عشر قمطرا وأربعة حباب شرابية مملوءة كتباً) [3].

وقال ابن حجر عن ابن الملقن (وكان يقتني الكتب، بلغني أنه حضر في الطاعون العام بيع كتب شخص من المحدثين فكان وصيه لايبيع إلا بالنقد الحاضر، قال : فتوجهت إلى منزلي فأخذت كيساً من الدراهم ودخلت الحلقة فصببته فصرت لا أزيد في الكتاب شيئا إلا قال : بع له، فكان فيما اشتريت مسند الإمام أحمد بثلاثين درهماً ...) [4].

والقاضي عبد الرحيم بن علي اللخمي قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٤١/٢١ :

(وبلغنا أن كتبه التي ملكها بلغت مئة ألف مجلد وكان يحصلها من سائر البلاد).

ومحمد بن عبد الله السلمي المرسي الأندلسي (كتب وقرأ وجمع من الكتب النفيسة كثيراً، ومهما فتح به عليه صرفه في ثمن الكتب ..) [5].

---

(١) صيد الخاطر ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢) تقييد العلم ص ١٢١.

(٣) قيمه الزمن عند العلماء ص ٢٦.

(٤) انباء الغمر ٤٢/٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣١٣/٢٣.

وغيرهم كثير يطول المقام بذكرهم.

فاحرص يا أخي على اقتناء الكتب ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأكثر القراءة فيها فإنه لا يخلو كتاب من فائدة، وربما لاتحتاج إلى الكتاب اليوم وتحتاجه غداً فلا تجده، وتشبه بأولئك العلماء لعلك تظفر ببعض ما ظفروا به إن شاء الله تعالى.

الحفظ : أهميته والطريق إليه

الحفظ نعمة من الله تعالى أنعم بها على عباده، والناس فيها على مراتب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله فيه حكمة عظيمة، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى مافي الحفظ والنسيان من حكم فقال :

(تأمل حكمة الله عز وجل في الحفظ والنسيان الذي خص به نوع الإنسان وما له فيها من المصالح، فإنه لولا القوة الحافظة التي خص بها لدخل عليه الخلل في أموره كلها ولم يعرف ما له وما عليه ولا ما أخذ ولا ما أعطى، ولا ما سمع ورأى، ولا ما قيل له، ولا ذكر من أحسن إليه ولا من أساء إليه، ولا من عامله ولا من نفعه فيقرب منه، ولا من ضره فينأى عنه، ثم كان لا يهتدي إلى الطريق الذى سلكه أول مرة ولو سلكه مراراً ولا يعرف علماً ولو درسه عمره، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان خليقا أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً، فتأمل عظيم المنفعة عليك في هذه الخلال وموقع الواحدة منها فضلاً عن جميعهن، ومن أعجب النعم عليه نعمة النسيان فإنه لولا النسيان لما سلا شيئاً ولا انقضت له حسرة ولا تعزى عن مصيبة ولا مات له حزن، ولا بطل له حقد، ولا تمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة عدو ولا نقمة من حاسد، فتأمل نعمة الله في الحفظ والنسيان مع اختلافهما وتضادهما وجعله في كل واحد منها ضرباً من المصلحة) (١) .

فبالحفظ يدرك الإنسان العلم و ينتفع به، وطالب العلم من أكثر الناس حاجة للحفظ وكثرة القراءة.

فكثرة القراءة تكسبه سعة الإطلاع، و بالحفظ يحوز العلم في صدره فلا تكفى القراءة بلا حفظ ولا الحفظ بلاسعة اطلاع، وقد احسن القائل :

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٧٧/١.

زوامل للأشعار ليس عندهم   بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا   بأحماله أوراح مافي الغرائر
وليس علماً ما وعى القمطر   ما العلم إلا ماوعاه الصدر

فالاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من الف حديث في دفترك.

وقد (كان علم الأصمعي في قمطر إلا أنه كان حفظاً) (١).

فأهل العلم لا يستغنون عن الحفظ ولو قل، وقد (كان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً وإن قل) (٢).

(فينبغي لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفاً إلى الحفظ والإعادة فلو صح صرف الزمان إلى ذلك كان أولى. غير أن البدن مطية، وإجهاد السير مظنة الانقطاع.

ولما كانت القوى تكل فتحتاج إلى تجديد، وكان النسخ والمطالعة والتصنيف لابد منه، مع أن المهم الحفظ، وجب تقسيم الزمان على الأمرين فيكون الحفظ في طرفي النهار وطرفي الليل، و يوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعة، و بين راحة للبدن وأخذ لحظة.

ولا ينبغي أن يقع الغبن بين الشركاء، فإنه متى أخذ أحدهم فوق حقه أثر الغبن وبان أثره، وإن النفس لتهرب إلى النسخ والمطالعة والتصنيف عن الإعادة والتكرار لأن ذلك أشهى وأخف عليها) (٣).

(١) الحث على طلب العلم للعسكري ص ٧٤.
(٢) المصدر السابق ص ٧٧.
(٣) صيد الخاطر ص ٢٠٥.

الأمور المعينة على الحفظ

ومن أراد أن يحفظ العلم فعليه أن يقصد بالحفظ ابتغاء وجه الله تعالى والنصيحة للمسلمين في الإيضاح والتبيين.

(وليجتنب ارتكاب المحرمات وموافقة الأمور المحظورة ... سأل رجل مالك بن أنس : يا أبا عبدالله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء ؟
قال : إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي) (١).

وقال بشر الحارث : (إن أردت تلقن العلم فلا تعص) (٢).

وقال علي بن خشرم : (سألت وكيعاً قلت : يا أبا سفيان، تعلم شيئا للحفظ ؟ قال : أراك وافداً، ثم قال : ترك المعاصي عون على الحفظ) (٣).

(أنشد أبو طالب يحيى بن علي الدسكري لبعضهم :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأومأ لي إلى ترك المعاصي
وقال بأن حفظ الشيء فضل وفضل الله لا يدركه عاصي) (٤)

وعليه أن (يأخذ نفسه باتباع أوامر الحديث والعمل به) (٥).
(و يطيب كسبه و يصلح عذاءه و يقل طعامه) (٦).

وقد يكون الحفظ شاقاً في أول الأمر، ولكن مع الممارسة والتعود يسهل بإذن الله تعالى، فإن الله جعل في هذا القلب القدرة على حفظ العلم والا تساع مع ز يادته، ولذلك قال بعض أهل العلم : «كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق إلا القلب، فإنه كلما افرغ فيه اتسع».

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) الجامع ٢/٢٥٨.
(٦) المصدر السابق ٢/٢٥٩.

وقال الزهري رحمه الله تعالى : (إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصير وادياً، لايوضع فيه شيء إلا التهمه) (١) .

وهذا أبو هلال العسكري يذكر عن نفسه وما كان يلاقيه من شدة في ابتداء طلبه قال : (وكان الحفظ يتعذر على حين ابتدأت أرومه - يعنى اطلبه - ثم عودته نفسي، إلى أن حفظت قصيدة رؤبة «وقاتم الأعماق خاوي المخترق» في ليلة وهي قريب من مائتي بيت) (٢) .

فبالمداومة والتكرار يسهل الحفظ على صاحبه.

(والحفظ لايكون إلا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، والمذاكرة حياة العلم، وإذا لم يكن درس لم يكن حفظ ، وإذا لم تكن مذاكرة قلت منفعة الدرس، ومن عول على الكتاب وأخل بالدرس والمذاكرة ضاعت ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم) (٣) .

فالمدارسة تثبت العلم ولذلك قال إبراهيم النخعي (من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به، ولو أن يحدث به من لا يشتهيه، فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره) (٤) .

وعن ابن شهاب أنه كان يسمع العلم من عروة وغيره فيأتي إلى جارية له - وهي نائمة - فيوقظها فيقول اسمعي حدثني فلان كذا وفلان كذا، فتقول مالي وما لهذا الحديث، فيقول : قد علمت أنك لا تنتفعين به، ولكن سمعته الآن فأردت أن استذكره) (٥) .

---

(١) الحث على طلب العلم للعسكرى ص ٧١.

(٢) المصدر السابق ص ٧١.

(٣) المصدر السابق ص ٦٧.

(٤) (٥) الجامع ٢/٢٦٨.

وقال زياد بن سعد (ذهبنا مع الزهري إلى أرضه بالشعب، قال وكان الزهري يجمع الأعاريب فيحدثهم، يريد الحفظ) [1].

وكان بعضهم يذاكر العلم مع نفسه فتراه يجلس وحده و يرفع بالعلم صوته حتى يحفظه. يقول (جعفر بن المراغي : دخلت مقبرة بتستر فسمعت صائحاً يصيح : والأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ساعة طويلة، فكنت أطلب الصوت، إلى أن رأيت ابن زهير وهو يدرس مع نفسه من حفظه حديث الأعمش) [2].

وقال عبد الرزاق : (كان سفيان الثوري عندنا ليلة، قال : وسمعت قرأ القرآن من الليل وهو نائم، ثم قام يصلي، فقضى جزءه من الصلاة، ثم قعد فجعل يقول : الأعمش، والأعمش، والأعمش، ومنصور، ومنصور، ومنصور، والمغيرة، والمغيرة، والمغيرة. قال : فقلت له : يا أبا عبدالله ما هذا ؟ قال : هذا جزئي من الصلاة، وهذا جزئي من الحديث) [3].

فالتكرار مما يسهل الحفظ و يثبت المحفوظ، يقول الزرنوجي في تعليم المتعلم ص ٢١.

(ينبغي لطالب العلم أن يعد و يقدر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ، و ينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله ثنتين، والذي قبله واحدة، فهذا أدعى إلى الحفظ).

---

(١) الجامع ٢/٢٦٨/٢٦٩.
(٢) المصدر السبق ٢/٢٦٧.
(٣) المصدر السابق ٢/٢٦٥.

وصدق من قال : (القلوب ترب والعلم غرسها، والمذاكرة ماؤها، فإذا انقطع عن الترب ماؤها جف غرسها) (١).

فعلاج الحفظ الحرص والدرس ومداومه النظر، ولذلك قال أبوعلي صالح بن محمد البغدادى لما سئل عن علاج للحفظ قال : (لاشيء إلا الطبع والحرص ومداومة النظر، وكثرة الدرس، ومرجع هذا كله إلى الطبع قد يكون الرجل سريع الحفظ سريع النسيان، وذلك من الصفراء، وقد يكون بطيء الحفظ بطيء النسيان وذلك من السوداء، وإن من الأطعمة ما إذا أكلت زادت في البلغم، والبلغم يورث النسيان وفيها ما يقطع البلغم، و يصفي الذهن. ومن ذلك الخردل فهو جيد للبلغم، قال أبوعلي : ولو كان الحفظ بالعلاج والأدوية لغلبنا عليه الملوك ولكنه خلقة وطبع، فأما من طبع على الحفظ فلا يضر حفظه ما أكل ومن طبع على غيره، فلا تنفعه المعالجة ولا الدواء ...) (٢).

ولكن مما يعين على الحفظ اختيار الزمان والمكان، يقول الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى : (اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها وللحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها، فأجود الأوقات الأسحار ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار، قيل لبعضهم : بم أدركت العلم ؟ قال : بالمصباح والجلوس إلى الصباح. وقيل لآخر فقال : بالسفر، والسهر، والبكور فى السحر ... وأجود أماكن الحفظ الغرف دون السفل، وكل موضع بعيد مما يلهي وخلا القلب فيه مما يفزعه فيشغله، أو يغلب عليه فيمته، وليس بالمحمود أن يتحفظ الرجل بحضرة النبات والخضرة ولا على شطوط الأنهار ولا على قوارع الطرق، فليس يعدم في هذه المواضع غالباً ما يمنع من خلو القلب وصفاء السر.

---

(١) الجامع ٢/٢٧٨.
(٢) المصدر السابق ٢/٢٧٩.

وأوقات الجوع أحمد للتحفظ من أوقات الشبع، و ينبغي أن يتفقد من نفسه حال الجوع، فإن بعض الناس إذا أصابه شدة الجوع والتهابه لم يحفظ، فليطفئ ذلك عن نفسه بالشيء الخفيف اليسير كمص الرمان وما أشبه ذلك، ولا يكثر الأكل.. عن المقداد بن معد كرب الكندي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فإن كان لا محالة فثلثا طعاماً وثلثاً شراباً وثلثاً لنفسه»... وليتعاهد نفسه بإخراج الدم..) (١).

وقال رحمه الله: (...ومن أنفع ما استعمل إصلاح الغذاء واجتناب الأطعمة الرديئة وتنقية الطبع من الأخلاط المفسدة.

وقد جاء في الحمية أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.. عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي، وعلي ناقه، ولنا دوال معلقة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منه، وقام علي ليأكل فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: مه إنك ناقه حتى كف علي، قلت: وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك.

فمن راعى ما رسمت له من إصلاح الغذاء، وتنقية الطبع، وفرغ قلبه لم يكد يسمع شيئاً إلا سهل عليه حفظه إن شاء الله تعالى) (٢).

---

(١) الفقية والمتفقه (الخطيب البغدادي) ٢/١٠٣.

(٢) المصدر السابق ٢/١٠٦.

عدم إجهاد النفس

ولكن «لا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه، ويحكم حفظه و يتقنه) (١) .

(قال شعبة : كنت آتي قتادة، فأسأله عن حديثين، فيحدثني ثم يقول أز يدك ؟ فأقول لا حتى أحفظهما وأتقنهما) (٢) .

(وقال الزهري : من طلب العلم جملة، فأته جملة، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان) (٣) .

وقال أيضاً : إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به) (٤) .

ولذلك قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : (فليحذر الراكب في إهمال الناقة ولا يجوز له أن يحمل عليها مالا تطيق ومع العدل والإنصاف يتأتى كل مراد، ومن انحرف عن الجادة طالت طريقه....) (٥) .

(واعلم أن الذكاء وجودة القريحة وثقوب الذهن جواهر نفيسة، فإذا طلب صاحبها العلم فبلغ فيه مبلغاً، فقد حفظ جمالها على نفسه، وأحرز منفعتها لها.

ومن ترك الطلب حتى كل ذهنه وعميت فطنته وتبلدت قريحته مع إدبار عمره كان كمن عمد إ لى ما عنده من الياقوت والدر فرضه، وأبطل الجمال والنفع به.

وإذا كان ما جمعته من العلم قليلاً وكان حفظاً، كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته) (٦) .

---

(١) الجامع ٢٣١/١

(٢)،(٣)،(٤) المصدر السابق ٢٣٢/١

(٥) صيد الخاطر ص ٢٠٥

(٦) الحث على طلب العلم ص ٧٣

أهمية علم الحديث

علم الحديث هو الشريعة، لأنه مبين للقرآن وموضح للحلال والحرام، وكاشف عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه فهو (علم الصدر الأول والذي عليه بعد القرآن المعول وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس. وهو المفسر للقرآن بشهادة **«لتبين للناس»** وهو الذي قال الله فيه تصريحا **«إن هو إلا وحي يوحى»** وهو الذي وصفه الصادق الآمين بمماثلة القرآن المبين حيث قال في التوبيخ لكل مترف إمعة «إني أوتيت القرآن ومثله معه» (١) .

(ولما كان أكثر الأحكام لاسبيل إلى معرفته إلا من جهة النقل لزم النظر في حال الناقلين، والبحث عن عدالة الراوين، فمن ثبتت عدالته جازت روايته وإلا عدل عنه، والتمس معرفة الحكم من جهة غيره لأن الأخبار حكمها حكم الشهادة في أنها لا تقبل إلا عن الثقات) (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ .(٣)

(... فكيف حال من تهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل، وقد قال عليه السلام : «من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما ذى إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على أيضاح مرو ياته ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذى يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر، والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان) (٤) .

---

(١) الروض الباسم.

(٢) الجامع ٢/٢٠٠.

(٣) الحجرات ٦

(٤) تذكرة الحفاظ ١/٤.

فـ (أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبوية، أعني معرفة متونها وأسانيدها ومـا يتعلق بها، ودليل ذلك ان شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المروية، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهية لأن أكثر الآيات الفروعية مجملة وبيانها في السنن، قال تعالى «**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**»، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالماً بالأحاديث المتعلقة بالأحكام، فثبت أن الأشتغال بالحديث متأكد وأنه من أفضل أنواع الخيرات وآكد القربات، وقد قال سفيان الثوري : ما أعلم عملاً أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله عز وجل. ونحوه عن ابن المبارك، وكيف لا يكون كذلك، وهو مع ما ذكرناه مشتمل على بيان حال أفضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولقد كان شأنه فيما مضى عظيما وأمره مفخماً جسيماً عظيمة جموع طلبته رفيعة مقادير حفاظه وحملته.

وكان أكثر اشتغال العلماء في الأعصار الماضية به حتى لقد كان يجتمع في المجلس الواحد من مجالس الحديث الآلاف الكثيرة من الطالبين له، فتناقص ذلك في هذه الأزمان وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار قليلة من آثارهم بل ذهب في هذا الوقت أثره واضمحل ذكره وخبره، فالله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من المصائب، وبالجملة فيتأكد أو يتعين على من فيه أهلية الإعتناء به والتحريض عليه لما ذكرناه، ولأن ذلك أيضا من النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال بعضهم من جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيه وذلك لكثرة فوائده الظاهرة والكامنة وهو جدير بذلك فإنه كلام أنصح الخلق ومن أعطي جوامع الكلم، لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وحقيق لمن اشتغل به وانحاش إليه وقصر أغراضه من العلوم كلها عليه وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه أن يعد من أفراد هذه الأمة المحمدية وخواص أهل الله تعالى وأهل رسوله صلى الله عليه وسلم) (١) .

(١) الرسالة المستطرفة ٢١٩ - ٢٢٠.

ولا يكون المرء عالماً إذا لم يعرف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى : (من لم يعرف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماعه ولم يميز بين صحيحه وسقيمه، فليس بعالم) (١) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى : (لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتى يعلم ما يصح مما لا يصح) (٢) .

وهذا حق لا مرية فيه، فإن كل من كتب في الفقه وغيره بدون علم بالسنة فإنه يأتي بكل ما هب ودب من موضوعات وأباطيل.

(ومن أراد الوقوف على حقيقة هذا فلينظر مؤلفات جماعة هم في الفقه بأعلى رتبة مع التبحر في فنون كثيرة كالجويني والغزالي وأمثالهما فإنهم إذا أرادوا أن يتكلموا في الحديث جاءوا بما يضحك منه سامعه و يعجب، لأنهم يوردون الموضوعات فضلا عن الضعفاء ولا يعرفون ذلك ولا يفطنون به ولا يفرقون بينه و بين غيره، وسبب ذلك عدم اشتغالهم بفن الحديث كما ينبغي فكانوا عند التكلم فيه عبرة من العبر.

.... وهكذا تجد كثيراً من أئمة التفسير الذين لم يكن لهم كثير اشتغال بعلم السنة كالزمخشري والفخر الرازي وغالب من جاء بعدهم فإنهم يوردون في تفاسيرهم الموضوعات التي لايشك من له أدنى اشتغال بعلم الحديث في كونه موضوعاً مكذوباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك المفسر قد أدخله في تفسيره واستدل به على ما يقصده من تفسير كتاب الله سبحانه، وهكذا أئمة أصول الفقه فإن أكثر من يشتغل الناس في هذا الزمان بمؤلفاتهم لا يعرفون فن الحديث ولا يميزون شيئاً منه بل يذكرون في مؤلفاتهم الموضوعات و يبنون عليها القناطر) (٣) .

---

(١) الجامع ٢/٢٩٥.
(٢) التعليق على تذكره السامع ص ١٢١.
(٣) أدب الطلب ص ٤١ - ٤٢.

فـ (المتصدر للتصنيف في كتب الفقه وإن بلغ في إتقانه وإتقان علم الأصول وسائر الفنون الآلية إلى حد يتقاصر عنه الوصف، إذا لم يتقن علم السنة و يعرف صحيحه من سقيمه، و يعول على أهله في إصداره وإيراده كانت مصنفاته مبنية على غير أساس، لأن علم الفقه هو مأخوذ من علم السنة إلا القليل منه وهو ما قد صرح بحكمه القرآن الكريم، فما يصنع ذو الفنون بفنونه إذا لم يكن عالماً بعلم الحديث متقناً له معولاً على المصنفات المدونة فيه ...) (١) .

فالحديث (هو العلم الذي تفجرت منه بحار العلوم الفقهية والأحكام الشرعية وتزينت بجواهرة التفاسير القرآنية والشواهد النحوية والدقائق الوعظية، وهو العلم الذي يميز الله به الخبيث من الطيب ولا يرغم إلا المبتدع المتريب، وهو العلم الذي يسلك بصاحبه نهج السلامة و يوصله إلى دار الكرامة، والسارب في رياض حدائقه الشارب من حياض حقائقه عالم بالسنة ولا بس من كل صوف جنة وسالك منهاج الحق إلى الجنة، وهو العلم الذي يرجع إليه الأصولي وإن برز في علمه، والفقيه وإن برز في ذكائه وفهمه، والنحوي وإن برز في تجويد لفظه، واللغوي وإن اتسع في حفظه، والواعظ المبصر، والصوفي والمفسر كلهم إلية راجعون ولرياضه منتجعون)(٢)

(قل لمن عائد الحديث وأضحى   عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ابن لي   أم بجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الدين   من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما روده   راجع كل عالم وفقيه) (٣) .

عليكم بالحديث فليس شيء   يعادله على كل الجهات
نصحت لكم فإن الدين نصح   ولا اخفي نصائح واجبات
وجدنا في الرواية كل فقه   واحكاماً ومن كل اللغات
بذكر المسندات أنست ليلي   وحفظ العلم خير الفائدات
ومن طلب الحديث أفاد ذخراً   وفضلاً ثم ديناً ذا ثبات (٤)

---

(١) أدب الطلب ٤٥ - ٤٦.
(٢) الروض الباسم ٥/١
(٣) شرف اصحاب الحديث ٧٧ - ٧٨.
(٤) شرف اصحاب الحديث ص ٦٣.

فأهل الحديث هم أفضل من تكلم في العلم كما قال الأمام أحمد رحمه الله تعالى وقال أيضا (ليس قوم عندي خير من أهل الحديث، ليس يعرفون إلا الحديث) (١) يعنى أنهم لا يقولون بالرأي.

ولولا أن بعضهم تشاغل عن الفقه بكثرة السماع دون التميز والفهم لكانوا يقدمون على غيرهم كما قال أبوثور لأبي زرعه الرازي :

(لم يزل هذا الأمر في أصحابك حتى شغلهم عنه إحصاء عدد رواة «من كذب على متعمداً» فغلبهم هؤلاء القوم عليه - يعنى أصحاب الرأى) (٢) .

وقد اثنى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على الحديث وأهله و بين منزلتهم فقال: «من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم، فإن المنازع لهم لابد أن تذكر فيما يخالفهم فيه طريقاً أخرى، مثل المعقول، والقياس، والرأي، والكلام، والنظر، والإستدلال، والمحاجة، والمجادلة والمكاشفة والمخاطبة، والوجد والذوق، ونحوذلك وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها : فهم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً وأسدهم كلاماً، وأصحهم نظراً، وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهاماً، وأحدهم بصراً ومكاشفة، وأصوبهم سمعا ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجداً وذوقاً. وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل.

فكل من استقرأ أحوال العالم ، وجد المسلمين أحد وأسد عقلاً وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين. وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك و يصححه، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (٣)

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (٤)

---

(١) شرف اصحاب الحديث ص ٤٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٣٠.
(٣) محمد ١٧

(٤) النساء ٦٦

ثم قال رحمه الله : ... فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض : فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، لاتجد في الأمة عظم أحد تعظيماً أعظم مما عظموا به، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم.

ثم قال «فهذا قليل من كثير في حال أهل الحديث وواقعهم، وما قيل من مدح بحق وشهادة بصدق، فقلت هذا لمن كان على نهجهم في اتباع الكتاب والسنة ليزداد إيماناً وثباتاً، ولمن خدع من المنتسبين إلى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرها من الفرق الضالة، فوقع في شيء من التعطيل والتأويل الجهمي، أو التخريف الصوفي أو وقع في مزالق الإرجاء أو سقط في أفخاخ الجبرية، ليعود إلى أصله و يأوى إلى عرينه، فليزم أهل الحديث، و يكون في ركبهم و يتبع حاديهم» (١) .

فنسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالطالبية

هرم – ت :٨٦٨٦٠٥

١ – بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن تأليف « أبو إسحق الحويني » .
٢ – تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة الجزء الثاني تأليف « محمد عمرو عبد اللطيف » .
٣ – تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع تأليف « محمد عمرو عبد اللطيف » .
٤ – حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية بقلم « بكر بن عبد الله أبو زيد » .
٥ – حلية طالب العلم . بقلم « بكر بن عبد الله أبو زيد » .
٦ – التعالم وأثره على الفكر والكتاب بقلم « بكر بن عبد الله أبو زيد » .
٧ – التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير بقلم « بكر بن عبد الله أبو زيد » .
٨ – براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة بقلم « بكر بن عبد الله أبو زيد » .
٩ – سمط اللآلي في الرد على محمد الغزالي تأليف أبي إسحق الحويني .
١٠– بغية الكمال شرح تحفة الأطفال [لتعليم تجويد القرآن] تأليف أسامة بن عبد الوهاب .
١١– الإسراء والمعراج تأليف علي محمد شاكر تحقيق حسين بن إسماعيل الجمل .
١٢– مقامع الشيطان في الكتاب والسنة الصحيحة تأليف سليم بن عيد الهلالي .
١٣– الحياء في الكتاب والسنة الصحيحة تأليف سليم بن عيد الهلالي .
١٤– الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب تأليف حسن بن عبد الحميد .
١٥– الرجال الذين تكلم عليهم الحافظ المنذري في كتابه الترغيب والترهيب جرحا وتعديلاً ومعه :
أ – الرواة المختلف فيهم المشار إليهم في نفس الكتاب] جمع وترتيب وتعليق
ب – رسالة في الجرح والتعديل للحافظ المنذري .] « أبو سماء » ماجد بن محمد أبي الليل .
١٦– الثمرات الزكية في العقائد السلفية جمع وترتيب أحمد فريد .
١٧– جامع أحكام النساء تأليف مصطفى بن العدوي أحمد .
١٨– استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والرد على شبه المستشرقين تأليف الدسوقي بن السيد عيد .
١٩– رسالة في القواعد الفقهية تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
٢٠– البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد تأليف عبد الله بن عبد الرحمن السليماني .
٢١– الحجاب لماذا ؟؟ تأليف محمد بن أحمد إسماعيل .
٢٢– كيف تنجو من عذاب القبر ومن عذاب جهنم تأليف ساعد بن عمر غازي .
٢٣– الحسبة في الإسلام [أو وظيفة الحكومة الإسلامية] لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق أبي المنذر سامي أنور
٢٤– البيان والإشهار للشيخ العلامة فوزان السابق [وهو كتاب في الذب عن الدعوة السلفية ورد شبهات المخالفين] .
٢٥– الغرباء الأولون أسباب غربتهم – ومظاهرها – وكيفية مواجهتها تأليف سلمان بن فهد العودة .
٢٦– تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات [وهو من أجمع ما كتب في الكبائر] للشيخ ابن حجر آل بوطامي.
٢٧– الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة تأليف مصطفى العدوي .
٢٨– هل الكتاب المقدس كلام الله ؟؟ تأليف الشيخ أحمد ديدات .

٢٩- فضائل شهر شعبان تأليف حسن عبد الدايم .
٣٠- مختصر التحفة الإثنى عشرية في الرد على الشيعة الإثنى عشرية للشيخ العلامة الألوسي .
٣١- قرة عيون الموحدين على كتاب التوحيد للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
٣٢- كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ومعه القول السديد للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
٣٣- الكوثري وتعليقاته للشيخ محمد بهجة البيطار .
٣٤- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة للشيخ محمد بن صالح العثيمين .
٣٥- العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير تأليف أحمد فريد .
٣٦- تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف جمع وترتيب أحمد فريد .
٣٧- الحيدة [وانتصار المنهج السلفي] للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني .
٣٨- رسالة في التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق حسين الجمل .
٣٩- أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد شاكر .
٤٠- الرد على من أجاز تهذيب اللحية تأليف حمود بن عبد الله التويجري .

* وسيصدر قريبا بحول الله وقوته :

١ - ردع الجاني المتعدي على الشيخ الألباني تأليف أبي زرعة الدرعمي .
٢ - المهدي حقيقة لا خرافة جمع وترتيب محمد بن أحمد بن إسماعيل .
٣ - الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق أبي الأشبال حسن المندوه .
٤ - تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام ، للإمام الشوكاني تحقيق أبو الأشبال حسن المندوه .
٥ - الجرح والتعديل من كلام الإمام الترمذي جمع وترتيب أبي محمد عصام بن مرعي .
٦ - الزواج في الشريعة الإسلامية للشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد العزيز بن محمد بن داود .
٧ - الفتاوى النافعة لأهل العصر [وهو مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية] تحقيق حسين الجمل .
٨ - فضائل فاطمة الزهراء رضي الله عنها للحافظ أبي حفص ابن شاهين تحقيق أبي إسحق الحويني .
٩ - الثبات عند الممات للإمام ابن الجوزي تحقيق خالد علي .
١٠- الكبائر للإمام الذهبي تحقيق محي الدين مستو .
١١- مختصر شعب الإيمان للحافظ البيهقي اختصار القزويني تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .
١٢- وقفات مع كتاب للدعاة فقط بقلم محمد بن سيف العجمي .
١٣- الحافظ أبو بكر البيهقي وأثره في علوم الحديث تأليف الدكتور أحمد يوسف سليمان .
١٤- منهاج الإمام ابن تيمية في الرد على الديانة النصرانية تأليف عبد الراضي محمد عبد المحسن .

صدر الإذن بطباعة هذا الكتاب
بموافقة وزارة الاعلام - ادارة المطبوعات بالدمام
بخطاب رقم ٩٤٣ بتاريخ ١٤١٠/٣/١٦هـ